## الموضوع الأول: جذور القضية الفلسطينية (1)

### 1 - مكانة فلسطين عند المسلمين:

فلسطين عند المسلمين أرض مقدسة؛ فهي أرض الأنبياء ومبعثهم عليهم السلام، فعلى أرضها عاش إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن، كما زارها محمد صلى الله عليه وسلم، وعاش على أرضها العديد من أنبياء بني إسرائيل، ممن لم يرد ذكرهم في القرآن، عندما كانت تسوسهم الأنبياء، ومما ورد ذكرهم في الحديث الصحيح يوشع عليه السلام.

وفلسطين عند المسلمين ليست فقط مجرد أرض محتلة، بل هي جزء من العقيدة الإسلامية، وفيها مدينة القدس المغتصبة، التي ربط القرآن الكريم بين حرمها المقدس والحرم المكي، عندما تحدث عن معجزة الإسراء والمعراج، فقال سبحانه وتعالي: **((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))**

فهي في الدين والعقيدة أولى القبلتين وثالث الحرمين، وحرمها مع الحرم المكي والحرم المدني يمثلون المساجد الثلاثة التي تنفرد بشدّ الرّحال للصلاة فيها، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى))**. وقال صلى الله عليه وسلم : **((الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة))**.

والقُدس رباطها المُقَدَّس مع الحرم المكي هو الرمز (المسجد) لعقيدة وحدة الدين الإلهي الواحد، عندما ارتبطت القِبلّةُ الخاتمة - الحرم المكي - بقبلة النبوات السابقة - الحرم القدسي الشريف - وتجلت هذه المكانة المقدسة للحرم القدسي الشريف عندما عاملها المسلمون على مرّ التاريخ معاملة «الحرم» الذي لا يجوز فيه القتال، فالحرم المدني فُتِحَ بالقرآن والحرم المكي فُتِحَ سلمًا، حتى لقد دخله الرسول الفاتح صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر ساجدا على راحلته، شاكرًا لله، والحرم القدسي حرص المسلمون على فَتْحِه سلمًا وصلحًا، وجاء فتسلم مفاتيحه الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (15 هـ -

635م)، ولقد سار على هذه السُّنَّةِ صلاح الدين الأيوبي عندما استردها من الصليبين (583 هـ - 1187م) بعد ما يقرب من تسعين عاما احتكروها فيها وانتهكوا حرمتها وقدسيتها.

عندما حرّر المسلمون القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من الاستعمار الروماني - الذي دام عشرة قرون - حرصوا على أن يكون اسمها عنوانًا على قَدَاستها وقُدسيتها، فسمُّوها ((القدس)) و((القدس الشريف)) و((الحرم القدسي الشريف))، كما حرصوا بحكم إسلامهم الذي تفرد بالاعتراف بالآخرين - عقائدهم ومقدساتهم -على إشاعة قُدسيتها بين أصحاب المقدسات، فجعلوها حرما مقدسا وقدسيّا لكن أصحاب الديانات السماوية، حتى لقد كانت السلطة الإسلامية هي الضمان لمصلحة الجميع، فلم تحتكرها للإسلام، كما احتكرها الرومان لوثنيتهم - عندما كانوا وثنيين - ولمذهبهم النصراني - عندما تنصّروا - .. وكما احتكرها الصليبيون الكاثوليك - إبان الاحتلال الصليبي -، .. وكما يحتكرها اليوم اليهود ويُهَوّدونها هذه الأيام

**2 – فلسطين الأرض والتاريخ:**

فلسطين؛ هي الاسم الذي يطلق على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، فهي تمثل صلة وصل بين قارتي آسيا وإفريقيا ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي. منذ عصور موغلة في القدم سكنها الإنسان، كما دلت على ذلك الحفريات والآثار، فقد شهدت أرضها مراحل التطور الإنساني الأولى في التحول من الرعي إلى الزراعة، فحسب علماء الآثار أن أول مدينة جرى تشيدها في التاريخ هي مدية (أريحا) الواقعة شرقي فلسطين وذلك سنة 8000 ق.م.

وأقدم اسم معروف لأرض فلسطين هو (أرض كنعان)؛ لأن أول سكنها والمعروف تاريخيًا هم (الكنعانيون)، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو 2500 ق.م. واسم فلسطين هو مشتق من اسم أقوام بحرية، قد تكون جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر ق.م، ووارد اسمها في النقوش المصرية باسم (بلست) وربما أضيفت النون بعد ذلك لجمع، وقد سكنوا المناطق بعد ذلك، ثم سكنوا المناطق الساحلية واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثر ميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم.

أما حدود أرض فلسطين الجغرافية المتعارف عليها فلم تحدّد بدقة إلاّ بعد زمن الاحتلال البريطاني لها وبالخصوص في الفترة ما بين (1920 – 1922م). وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبّر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجُّون التي تقع على بعد 18 كلم شمالي غرب مدينة جنين. ومهما كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءًا من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات التي تضيق وتتسع أن تغيّر شيئا من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم لحكم لا يهتز ما دام مسلمًا حقًا. وعلى كلٍّ؛ فإن مساحة فلسطين تبلغ 27009 كلم$^2$ وفق التقسيمات المعاصرة.

أما حدود أرض فلسطين الجغرافية المتعارف عليها فلم تحدّد بدقة إلاّ بعد زمن الاحتلال البريطاني لها وبالخصوص في الفترة ما بين (1920 – 1922م). وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبّر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجُّون التي تقع على بعد 18 كلم شمالي غرب مدينة جنين. ومهما كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءًا من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات التي تضيق وتتسع أن تغيّر شيئا من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم لحكم لا يهتز ما دام مسلمًا حقًا. وعلى كلٍّ؛ فإن مساحة فلسطين تبلغ 27009 كلم$^2$ وفق التقسيمات المعاصرة.

وبخصوص تضاريس فلسطين فإن مناخها هو مناخ البحر المتوسط، الذي يشجع على الاستقرار والإنتاج، ويمكن تقسيم سطحها إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، هي السهل الساحلي والمرتفعات الجبلية الوسطى والأخدود الأردني. والسهل الساحلي منطقة تركز غالب الفلسطينيين، حيث الموانئ ومراكز التجارة والنشاط الاقتصادي والزراعي. وتشمل المرتفعات الجبلية الوسطى جبال نابلس والخليل وهضبة النقب، وأعلى جبالها ارتفاعًا هو جبل (الجرمق) شمال فلسطين الذي يبلغ ارتفاعه 1207 أمتار، وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار، ورعي

الماشية. أما الأخدود الأردني، حيث يجري نهر الأردن ليصيب في البحر الميت، فهو يُعدُّ أكثر المناطق انخفاضًا عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر في وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو 400 متر تحت سطح البحر، وهي مناطق تميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها لنخيل والموز والخضروات.

**3 -جذور القضية الفلسطينية:**

**3 - 1- ظهور الحركة الصهيونية وتطورها:**

اشتقت كلمة الصهيونية (Zionism) من صهيون، وهو أحد التلال أو الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس القديمة، وهو اسم كنعاني في الأصل وقد ورد ذكره في التوراة والإنجيل، وكان غرض اليهودية العالمية من اختياره، هو إثارة الشعور الديني والعنصري في يهود العالم واكتساب تأييد العناصر المسيحية الغربية وعطفها. أما بخصوص الصهيونية فهي؛ حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهود صفة القومية والدلالة الجنسية، وزعمت أن الشعب اليهودي يكوّن عرقا نقيا. ونادت بحل لما أسمته "بالمشكلة اليهودية" فعارضت إدماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، مدعية أن لهم فيها حقوقا تاريخية في فلسطين عن إرهاب وطرد شعبها العربي المسلم.

وتستمد الصهيونية أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود، تلك العقائد التي جعلت المستعمرين على مدار التاريخ يسعون لاستغلال اليهود في العالم إلى ما يسمونه زورا وبهتانا أرض الميعاد، كما تستمد الصهيونية حيويتها من ارتباط الفكر الصهيوني بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في أذهانهم. أما مدلولها السياسي الحديث فتهدف الصهيونية إلى السيطرة على العالم في المدى البعيد بدعوى ((أن الله استخلفهم على العالمين وأنهم شعب الله المختار)) فهي بذلك تعتبر أقدم مبدأ عنصري استعماري ظهر على وجه الأرض، وبذلك تعتبر الصهيونية بهذا المفهوم هي الفلسفة القومية للغالبية العظمى من اليهود في العالم، وما فلسطين سوى هدفهم القريب الذي منها يسعون إلى تحقيق هدفهم البعيد.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تنشأ الصهيونية في أوروبا وأن يكون توقيت ظهور منظمتها في نهاية القرن التاسع عشر، وأن تصوغ أيديولوجيتها على الوجه الذي صاغته

فيه، فالأوضاع الاقتصادية والسياسية هي التي هيأت المناخ المناسب لظهور اللاسامية، والصهيونية التي جاءت حسب زعم أصحابها كرد وحيد على اللاسامية

كان لانتشار فكرة القومية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر أثر على بعض مفكري اليهود وفلاسفتهم الذي أخذوا يفكرون في حل للمشكلة اليهودية في أوروبا والتخلص من الاضطهاد الذي تعرضوا له هناكن فوجدوا أن خلاصهم من أرض الشتات لابد أن يكون على أساس من الفكر الديني اليهودي وكان على رأس هؤلاء الحاخام "يهوذا القالي" Rabbi Yehudah Alkalai (1798 . 1878). الذي عاش في البلقان في أعقاب الحرب اليونانية التحررية، التي تميزت بالشعور القومي ضد الدولة العثمانية. وقد تأثر "القالي" بهذه الحرب فنشر كتيبا بعنوان «اسمعي يا اسرائيل» عام 1834، اقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كأساس لخلاص اليهود من شتاتهم واضطهادهم. وقد هاجر "القالي" إلى فلسطين وهو في السبعين من عمره، وأنشأوا عليها أول مستعمرة زراعية ليهود في فلسطين هي مستعمرة (بتاح تكفا) والتي تعني (باب الأمل) وكانوا بذلك يضعون أفكار "القاني" موضع التنفيذ.

ومن الذي عاصروه وسعوا في هذا الشأن الحاخام "زفي هيرش كاليشر" Ziv Hirseh Kalisher (1795-1874) المولود في بوزنان (Poznań) في بولونيا، استقر في بلدة تورون (Toruń) ومكث فيها حاخاما طيلة أربعين سنة، زامن فيها حركة الإصلاح الديني اليهودي وعارضها بالدفاع صحة التقاليد المتوارث وتشدد على ابراز العلاقة بين اليهودي والأرض المقدسة، في سنة 1836 عبر صهيونيته في رسالة بعث بها إلى كبير فرع عائلة روتشيلد في برلين. وعندما تأست (جمعية رعاية الاستبطان اليهودي في فلسطين 1860 في فرانكفورت انضم إليها واستوحى من أهدافها كتابه الصهيوني «السعي لصهيون» عام 1892. الذي بالغ فيه في وصفه لحياة اليهود في أوروبا الشرقية، ودعا إلى إنهاء الاضطهاد الذي يعانونه هناك، بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان الدائم فيها. راح "كاليشر" يتنقل بين بلدان أوروبا محرضا سكانها اليهود لتجسيد أفكاره في الواقع، وهو الأمر الذي دفع بجماعة من اليهود على شراء أراضي في ضواحي (يافا) عام 1866. حيث قامت (جمعية الأليانس الاسرائيلية) التي كانت قد تأسست في فرنسا سنة 1860، بإنشاء المدرسة الزراعية التي سمتها (مدرسة ميكفاه إسرائيل الزراعية Mikveh Israël Agricultural School) لتشجيع شراء الأرض وإقامة

المستوطنات الزراعية، فكانت مساعي "كاليشر" الحثيثة يرمي من وراء تثبيت دعائم الاستعمار والاستيطان الصهيوني في فلسطين.

ومن الذي ساروا في هذا المسعى وتأثروا بأفكار "كالشير" المفكر الاجتماعي اليهودي "موسى هس" Moses Hess (1812- 1875) الذي اعتبره بعضهم أنه هو بادئ الحركة الصهيونية، ولد في بون الألمانية، اهتم بدراسة الفلسفة والعهد الجديد والتاريخ وكان شديد الإعجاب بالأدب الفرنسي، تأثر بأفكار الفيلسوفان "روسو" و"سبينوزا" وظهر ذلك في كتابه الأول الذي صدر بدون مؤلف بعنوان: «تاريخ الإنسانية المقدس، اعلان لحرية باسم الروح القدس»، اعتنق في بداية حياته الأفكار الاشتراكية ثم انصرف عنها، رفض الحركة الإصلاحية لليهود واندماجهم في تيار الحياة والانصهار في بوتقة الثقافة الألمانية، بدعوة أن العداء لسامية لن يزول من الوجود بهذه الصورة. وعبر عن صهيونيته في كتابه الشهير: «روما والقدس» الذي نشره سنة 1862 والكتاب يقدم حلا للمشكلة اليهودية على أساس توطين اليهود في فلسطين، ودعوة إلى قومية يهودية تحر القدس وتكون بداية عصر الانبثاق الجديد، على غرار تحرير المدينة الخالدة روما في التاريخ القديم. وينتهي "هس" إلى القول فيه بأن: «الوضع العالمي الحاضر يجب أن يشجع اقامة المستعمرات اليهودية في الحال عند قناة السويس وعلى ضفتي الأردن». في سنة 1863.سافر "هس" إلى باريس فرحب به يهود فرنسا واشترك في تحقيق المدرسة الزراعية قرب (يافا) الذي تبنته الأليانس الإسرائيلية آنذاك.

ومن الذي أضفوا لبنة جديدة في صرح الفكرة الصهيونية الطبيب الروسي اليهودي "ليون بنسكر" Leon Pinsker (1821- 1891) الذي ولد في بولونيا وبدأ منذ 1860 يهتم بالشؤون اليهودية، وقد كان في بداية حياته يؤمن بأفكار حركة التنوير (الهسكلاه Haskalah)، التي كانت تدعو اليهود إلى الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، ولكن أفكاره هذه ما لبثت أن تغيرت، كما تغيرت أفكار الكثيرين من إتباع هذه الحركة على اثر مذبحة اليهود في روسيا عام 1881 في أعقاب اغتيال قيصر روسيا اسكندر الثاني، حيث اتهم اليهود بالاشتراك في مؤامرة الاغتيال، فكانت المذبحة عاملا مباشرا في فشل حركة التنوير، ما ضطر يهود روسيا لاتجاه إلى اعتناق الفكرة القومية، واتخاذها أسلوبا لخلاص من الاضطهاد. في سنة 1882 نشر "بنسكر" كتابه ((التحر الذاتي))الذي تناول فيه حياة البؤس والاذلال التي يعيشها يهود أوروبا الشرقية بخاصة، وبالغ في ذلك كثيرا، وانتهي في

النهايو إلى أن حل المشكلة اليهودية تكمن في تحرير اليهود ذاتيا في المجتمعات التي يعيشون فيها، والسماح لهم بالهجرة إلى وطن يمارسون فيه السيادة على أنفسهم. وكان همه في ذلك ايجاد قومية يهودية تعيش على أرض يهودية مستقلة.

كان "بنسكر" يعتقد في بدي الأمر أن بالإمكان إيجاد وطن قومي لليهود في أي جزء من العالم مما جعله يذكر اسم فلسطين في كتابه، ولكن أن لاقى معرضة شديدة من المتعصبين اليهود الذين كانوا يصرون على أن تكون هذه الأرض هي فلسطين وحدها هذا الوطن، اضطر أن يغير رائه ويصبح صهيونيا ملتزما. وكتابه بمثابة الكتاب المقدس لكثير من اليهود الذين راحوا يؤلفون الجمعيات من أجل شراء الأراضي في فلسطين لإقامة المستعمرات اليهودية عليها. وكان من بين تلك الجمعيات واحدة تسمى (البيلو Bilu) وقد تألفت من عد من طلاب جامعة خركوف في روسيا عام 1882، وكان هؤلاء الطلاب يرفعون شعارا يدعون فيه اخوانهم من يهود الشتات إلى العمل بجد من أجل استعادة أرض فلسطين، ونص ذلك الشعار: «إذا لم أساعد نفسي فمن يساعدني، يا بيت يعقوب. هلم بنا نذهب Beth Jacop lech Ue-meleha». ومن الحروف الأولى من هذه الكلمات العبرية تكونت كلمة (Bilus) التي عرفت بها الجمعية فيما بعدن ولكن هذه الجمعية كانت قد فشلت في الحصول على ترخيص من الباب العالي لشراء الأراضي في فلسطين من أجل إقامة مستعمرات يهودية عليها، فقد تنبهت السلطات العثمانية لما كان يحيكوه الصهاينة فأصدرت في شهر أبريل عام 1822 قانونا يمنع اليهود من الاستيطان في فلسطين.

إلا أن هذا القانون العثماني لم يثن من عزيمة "بنسكر" الذي واصل جهوده فألف (جمعية زرو بابل Zeru Babel) في مدينة أوديسا عام 1883، وتولى رعايتها حتى غدت مثالا يحتذى لكثير من الجمعيات اليهودية التي راحت تقلدها في أهدافها من أجل انجاح الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين، غير أن أهم أعمال "بنسكر" على الاطلاق كانت جهوده التي بذلها لتوحيد تلك الجمعيات اليهودية في حركة واحدة سميت حركة «أحباء صهيون» وذلك سنة 1887على اثر انعقاد مؤتمر دروسكينجي Droskiniki، وفي عام 1890 هذه الحركة برئاسة "بنسكر" على اعتراف رسمي من روسيا، عندما منحتها ترخيصا لعمل باسم «جمعية دعم الزراعيين والحرفين اليهود في فلسطين وسوريا». وزادها حماسا عندما أقدمت السلطات العثمانية على رفع الحظر على الاستيطان اليهودي في فلسطين عام 1890، مادفع إلى تشكيل لجنة برئاسة "بنسكر" لتشجيع شراء الأراضي في فلسطين

والاشراف على الهجرة اليهودية. وجرى افتاح مكتب لهذا الغرض في مدينة (يافا)، إلا أن السلطات العثمانية سارعت فأمرت بإغلاقه نتيجة لاحتجاج عرب فلسطين على عمليات الاستيطان اليهودي في بلادهم. فتوقفت عمليات الاستيطان في فلسطين ما أوقف استمرارية تقدم وتطور الصهيونية.

ظلت الحركة الصهيونية مفتقرة إلى التنظيم والتخطيط حتى تطورت إلى حركة سياسية على يد "ثيودور هرتزل"Theodor Herzl (1860 -1904)، الذي كان قد درس القانون في جامعة فينا، واشتغل عقب تخرجه بالصحافة والأدب، وعمل مراسلا في باريس لجريدة (الصحيفة الجديدة الحرة Neve Freie Presse)، وكان هرتزل متحمسا مثله في ذلك الكثيرين من كتاب عصره اليهود لإنشاء وطن قومي لليهود. وقد استغل في ذلك قضية "دريفوس" الشهيرة في فرنسا للوصول إلى مراتب الشهرة والدعوة للحركة الصهيونية، كان "دريفوس" ضابطا بهيئة الأركان الفرنسية، واتهم سنة 1894 بإفشاء الأسرار العسكرية الفرنسية إلى الألمان، وحكم عليه بالإعدام غير أنه برئ بعد ذلك بعامين بعد أن جند اليهود كل طاقتهم بل وتمكنوا من تسخير الكاتب الفرنسي الشهير "إميل زولا" فبهذا المسعى. نشط "هرتزل" بعد هذا الحادث وما رآه من احتقار لليهود في شخص "دريفوس" لعمل على تنظيم اليهود لتحقيق فكرة تكوين دولة لهم في فلسطين.

كما دفعته هذه القضية على تأليف كتاب باللغة الألمانية أسماه: «الدولة اليهودية Der Judenstaat» ونشره عام 1896، وحاول في هذا الكتاب أن يقيم الدليل على أن اليهود يمثلون أمة متميزة، وأن المشكلة اليهودية مشكلة قومية يجب أن تأخذ طريقها إلى الحل كبقية القوميات المضطهدة. وبذلك صاغ "هرتزل" الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي، وأصبح المنظم الفعلي لحركة الصهيونية. وأنشأ في عام 1897 مجلة أسبوعية أسماها «العالم Die Welt»، وأصبحت الصحيفة الرسمية باسم الحركة الصهيونية. وفي 29 أوت 1897 سعى "هرتزل" إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بالBasle) بسويسرة، وقام المؤتمر الذي حضره نحو من مائتي عضوا من أنحاء العالم بوضع أول ميثاق للحركة، كما حقق المؤتمر المهمة التي انعقد من أجلها، وكان قراره الرئيسي الذي هو هدف الصهيونية المتمثل في اقامة وطن قوي ليهود في فلسطين يضمنه القانون العام. كما أقر المؤتمر العلم الصهيوني والنشيد القومي. وخرج بجعل اللغة لغة العبرية يتحدث بها

اليهود في جميع أنحاء العالم، وأيضا إنشاء صندوق جباية لتيسير عملية هجرة اليهود إلى فلسطين وشراء الأرض لهم هناك.

على كلٍّ؛ فإن الحركة الصهيونية بعد أن حددت هدفها المرحلي المؤتمر الصهيوني الأول، تكونت في (بال) المنظمة الصهيونية العالمية، وانتخب "هرتزل" رئيسا لها، ثم بدأ الفور العمل من أجل الحصول على حق شرعي معترف به دوليا لبدء في تنفيذ الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، وضعت الحركة الصهيونية برنامجا عمليا لتنفيذ هذا المخط يقوم على ثلاثة خطوط: التنظيم، والاستعمار أو الاستيطان، ثم الدبلوماسية أو المفاوضات من جهة.

ومن جهة ثانية عملت على تنظيم أجهزتها الإدارية لقيام بأعباء ومهام بناء الدولة، فأقامت جمعيات صهيونية أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية، كما عملت على خلق أدوات الاستعمار الصهيوني المنظم في فلسطين، ومنها: المصرف اليهودي لمستعمرات ((صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار))، ولم يبدأ المصرف جديا إلا في عام 1901، وقد أنشيء مصرف فرعي له في يافا. وأيضا ((الصندوق القومي ليهود)) وقد انشئ في عام 1906 بهدف الحصول على أراضي في فلسطين، وإلى جانب المصرف اليهودي لمستعمرات والصندوق القومي اليهودي، أنشئت عام 1898 ((لجنة الاستعمار))، كما أنشئ عام 1908، ((مكتب فلسطين)) و((شركة تطوير الأراضي)) عام 1909. وكان هدف المؤسسات جميعها التخطيط لعملية الاستعمار اليهودي.

وأما الدبلوماسية فقد عمدت الصهيونية لحصول على الدعم والتأييد الدولي بشأن تحقيق الهدف الاستراتيجي لها، وكان من الطبيعي أن ترتكز جهود الصهيونيين الدبلوماسية في بادئ الأمر على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون فلسطين في ذلك الوقت. وبذل "هرتزل" جهودا كبيرة لاتصال بالسلطان "عبد الحميد الثاني"، فنجح في مقابلته ثلاث مرات وفشلت محاولاته جميعها. فقد رفض السلطان منح حقوق غير محدودة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، نظير قيام اليهودية العالمية بتسديد الديون العامة لدولة العثمانية، ورد السلطان على "هرتزل" بما يلي: «أنصحوا الدكتور "هرتزل" بألا يتخذ خطوات أخرى في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، لأنها ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه... فليحتفظ اليهود

بملايينهم لأنه لو قدر لإمبراطوريتي أن تتمزق فقط يحصلون على فلسطين دون مقابل. ولن يتم ذلك إلا إذا مزقت أوصالنا، ولن أوافق على أن تمزق وأنا حي».

أدرك "هرتزل" أنه من المستحيل اقناع السلطان "عبد الحميد" أو شراؤه، ولذلك دبر الصهاينة بعد وفاته مؤامرة لخلعه أو زج تركيا في حرب عالمية، ستخسرها لامحالة كونها ضعيفة وهو الأمر الذي حصل فعلا فيما بعد. ومن الغرابة أنه أثناء خلع السلطان العثماني بسب الثورة التي قامت عليه عام 1908 جاء مع الأتراك موظف عثماني يهودي كان يعرفه السلطان "عبد الحميد"، وقد سلمه رسالة الخلع عن الحكم، وكان اليهودي مندوبًا عن حركة تركيا الفتاة، فاستغرب السلطان من هذه المكيدة المدبرة.

## المصادر والمراجع:


- **قرآن كريم**، الإسراء، الآية 1.
- اسماعيل أحمد ياغي، **الجذور التاريخية لقضية الفلسطينية**، دار المريخ لنشر، الرياض، 1983.
- إميل توما، **جذور القضية الفلسطينية**، اصدار المكتبة الشعبية الناصرة، طبع في مطبعة الاتحاد التعاونية بحيفا، فلسطين، (د.س).
- تيسير جبارة، **تاريخ فلسطين**، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998.
- حسن صبرى الخولي، **فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار**، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، الجمهورية العربية المتحدة، 1968.
- صايغ وأخرون، **الفكرة الصهيونية (النصوص الأساسية)**، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، بيروت، (د.س).
- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (1516 - 192)**، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت.
- محسن محمد صالح، **القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، مركز الزيتونة للدراسات والاستثمارات، بيرزت لبنان، 2012.
- محمد عمارة، **القدس أمانة عمر في انتظار صلاح الدين**، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
-أسعد رزوق، **اسرائيل الكبرى (دراسة في الفكر التّوسعي الصهيوني)**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968، .